جرائم نظام البعث المنحل في العراق

المحاضرة الخامسة

تتناول هذه المحاضرة الأكاديمية الآثار النفسية والاجتماعية لجرائم نظام حزب البعث في العراق، مع التركيز على استهدافه القيم الدينية والاجتماعية، وتداعيات سياسته القمعية على المجتمع العراقي.

آثار الجرائم النفسية لنظام البعث

أدت الآليات التي اتبعها نظام البعث إلى تبعات نفسية واجتماعية عميقة، منها:

- **تدمير الهوية الدينية والقيم الاجتماعية**، إذ استهدف النظام القيم الأخلاقية السامية والعادات الاجتماعية المتجذرة في المجتمع العراقي.

- **إفراغ العراق من طاقاته وقياداته الدينية والعلمية والثقافية والفنية**، سواء عبر التصفية الجسدية لأبرز الشخصيات أو إجبارهم على الهجرة القسرية.

- **زلزلة النظام التربوي**، إذ أجبر المعلمين وأساتذة الجامعات على ترك عملهم، وانتقلوا إلى أعمال متواضعة، ما أدى إلى تفشي الجهل وتراجع المستوى العلمي والثقافي.

- **تفتيت النسيج الاجتماعي** عبر تعزيز قيم الطائفية والعشائرية والمناطقية، مع تغييب الهويات القومية والعرقية، كما حدث مع المكونات التركمانية التي تعرضت للقمع والتغييب القسري.

- **زرع الفساد الاجتماعي وتفكيك الانتماء الوطني**، مما أثر سلبًا على الروح الوطنية لدى الكثير من العراقيين.

- **غرس مشاعر الضعف والاستسلام في شخصية المواطن**، وتأهيله نفسيًا لقبول التدخلات الخارجية لتغيير النظام.

- **تحويل الفلسفة التربوية نحو تمجيد شخصية رأس النظام** على حساب تنمية الوعي النقدي والحرية الفكرية.

الجرائم الاجتماعية وأثرها على المجتمع العراقي

سعى النظام البعثي إلى تفكيك الانتماء الوطني للمواطنين عبر سياسات التهديد المستمر بالتهجير والتشكيك في ولائهم، مع صورة موحدة للهوية الوطنية تقتصر على الانتماء إلى البعث العربي الاشتراكي فقط.

صور الجرائم الاجتماعية

- **عسكرة المجتمع:**

اعتمد النظام على تعبئة الجماهير وعسكرة المجتمع، من خلال تشكيل تنظيمات مسلحة ومؤسسات رديفة للجيش مثل الجيش الشعبي، تنظيمات الطلائع، وأشبال صدام، ما حول المجتمع إلى معسكر ضخم لاستيعاب النزاعات والحروب التي خاضها العراق، مما حرمه من الاستقرار والعيش الآمن.

- **موقف النظام من الدين:**

حارب النظام البعثي منذ بداية توليه السلطة الدين وعمّامه، إذ اعتبر انتقادات المجتمع الفكري والديني تهديدًا مباشرًا لأيدولوجيته، وراهن على إضعاف الرابط الديني عبر:

- محاربة الحوزة العلمية وطلبتها، باستعمال الإقامة الجبرية، الإعدام، الاغتيال، والمنع من التعليم، كان من أبرز ضحايا هذا المسار المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم وأفراد عائلته، بالإضافة إلى المفكرين الدينيين مثل السيد محمد باقر الصدر وأخته بنت الهدى، وكذلك اغتيال المرجع السيد محمد محمد صادق الصدر ونجليه.

- إعدام علماء الدين السنة المعارضين للنظام مثل الشيخ عبد العزيز البدري وأخيه.

- تدمير دور العبادة كالكنائس والمساجد، وهدم المدارس الدينية، وإغلاق كليات فقهية مثل كلية الفقه بجامعة الكوفة.

- منع إصدار الصحف والمجلات الإسلامية، واحتكار وسائل التربية والتعليم الرسمية، والتحكم التام في المناهج الدراسية.

- منع إقامة الشعائر الدينية، ومراقبة المساجد والحسينيات أمنياً، واعتقال الزائرين، وفرض إجراءات رقابية مشددة على النشاطات الدينية.

- تشويه صورة علماء الدين عبر إشاعة الشائعات واستخدام عملاء يتنكرون بزي ديني بين طلبة الحوزة والمجتمع.

- **أهداف هذه السياسات:**

- إنهاء الصلة بين المجتمع والشريعة والعقيدة.

- إذكاء النزعات الطائفية لتفتيت وحدة المجتمع العراقي.

- إخماد الحماسة والثورات الشعبية.

- قمع الممارسات الدينية واتهام المتمسكين بها بالرجعية والتخلف.

- **قمع الانتفاضات الدينية:**

أبرزها قمع انتفاضة صفر عام ١٩٩١ التي كانت امتدادًا لنهضة الإصلاح الديني المرتبطة بإمامة الإمام الحسين (عليه السلام)، والتي واجهها النظام بعنف شديد.

***

تمثل هذه الجرائم النفسية والاجتماعية نموذجًا واضحًا لكيفية استهداف النظام البعثي للنظم القيمية والدينية والاجتماعية في العراق، ما أدى إلى عواقب عميقة على مستوى الهوية الوطنية والتماسك المجتمعي.